# ملامح من تعليم المرأة المسلمة في المشرق والمغرب

د. غانم عبد الله خلف*

## أولا: الاطر التشريعية لحقوق المرأة المسلمة:

ان من اهم المسائل الجوهرية التى عني بها الاسلام كثيرا وعالجها معالجة جذرية وشاملة : الانسان ذكرا كان ام انثى لان اصلاح الانسان يعني صلاح المجتمع وصلاح مسيرته وهو هدف الاسلام لكي تتمكن الدعوة الاسلامية من الوصول الى ابعد المديات في تحقيق اهدافها الانسانية التى رسمتها ارادة الله سبحانه وتعالى.

وطالما نحن بصدد الحديث عن المرأة فأن الشريعة الاسلامية لم تتوان عن تحديد الاطر التى تضمن من خلالها كافة الحقوق التى يجب ان تتمتع بها المرأة ماديا ومعنويا باعتبارها ركنا مهما من اركان المجتمع الاسلامي. وبالرغم من وضوح هذه الحقوق فان المراة لاتزال تواجه من صعوبات الحياة الشيء الكثير نقف في مقدمتها تلك النظرة المتدنية اليها والى الدور الذي يمكن ان تؤديه في حياة المجتمع والاسرة.

لقد ضمنت الشريعة الاسلامية للمرأة حياة كريمة فقد اكد القرآن الكريم وفي اكثر من مناسبة على صيانة كرامة المرأة وضرورة المحافظة عليها وبذلك تتساوى مع الرجل في القيمة الانسانية فقد قال تعالى: "ياايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهمارجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا".[1]

وهنا لابد ان نذكر بان من عادات العرب السيئة قبل الاسلام قيامهم بقتل الاناث بعد ولادتهن اما بدافع اقتصادي يتمثل بالفقر والعوز وقد حرم الله هذا العمل بقوله: "ولاتقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا "[2]. او بدافع اجتماعي يتعلق بطبيعة النظرة الاجتماعية للانثى فقد قال تعالى: " واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه

---

* استاذ مساعد في قسم التاريخ / كلية الاداب

في التراب الاساء ما يحكمون"[٣] وقد يكون الدافع الديني هو سبب وأد البنت اذ كانت العادة جاريـــة بتقديم الضحايا البشرية للالهه وهنا يقول الله تعالى: " وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله مافعلوه فذرهم ومايفترون"[٤].

ان معاناة المرأة ليس سببها الدين وانما سببها الخطأ في التصوروالتصرف من قبل البعض تجاه المرأة وهنا لابد من التاكيد على مسألة مهمة وهي ان للمرأة وظائف تؤديها تبعا لطبيعة تكوينها التي تختلف عن طبيعة تكوين الرجل ومع ذلك فهي والرجل على خط واحد ودرجة واحدة من حيث الكرامة الانسانية فلايجوز مصادرة دورها واضعاف شأنها الوظيفي في الحياة بحجة انها مخلوق رقيق في تكوينه البايولوجي والعاطفي على عكس الرجل الذي يتمتع بقوة بدنية وعاطفية عالية تؤهله لاحتلال مركز الصدارة حتما.

وانطلاقا من اهتمام الاسلام بالمرأة فأن الله تعالى يذكر الانسان بما عانته امه من الام الحمل ومخاض الولادة وشقائهافي تربية الاطفال وسهرها على راحتهم حتى يصبحوا بالغين فقد ورد في القرآن الكريم :" ووصينا الانسان بوالديه حماته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير "[٥]. كما ورد في قول الرسول (ص) : " ان الله يوصيكم بأمهاتكم ثم يوصيكم بأمهاتكم ثم يوصيكم بأمهاتكم ثم يوصيكم الاقرب بالاقرب" [٦].

اما تصور البعض بان المرأة قاصرة دين فأن هذا التصور يجب ان لايفسر بغير حقيقته لان المقصود به لاياخذ صفة الاطلاق وانما هو قائم على ظرف آني مبعثه التكوين البايولوجي للمرأة الذي يؤخرها عن القيام بواجباتها الدينية في ظروف صحية معينة [٧]. وقد قرر الاسلام ثوابا للنساء المؤمنات لايقل عن الثواب المقرر للرجال المؤمنين قال تعالى: " فاستجاب لهم ربهم اني لااضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض " [٨] . ان تاخر المراة عن تادية بعض واجباتها الدينية قـــد جوزته الشريعة الاسلامية ومثال ذلك تعرض المرأة للدورة الشهرية اما في الظروف الاعتيادية فانها تبقى

مطالبة كالرجل بالقيام بالتزاماتها الدينية التي حددها الاسلام لاتباعه.

وهنالك مسالة اخرى تثار خطأ ضد المراة تتلخص في كونها ناقصة عقل " لان شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل...." [٩] والحقيقة ان العلم وبالرغم من التطور الهائل الذي وصله لم يثبت لحد الان وجود فرق بين ذكاء الرجل وذكاء المراة بشكل عام وان وجد فلا يعدو كونه حالة فردية ليس الا. فالقدرة الفكرية للمراة لاتقل عن مثيلتها عند الرجل ومثلما نجد رجالا عباقرة نجد نساء عبقريات ايضا واذا ظهر رجال نابغين اكثر من النساء فهذا ليس سببه التكوين البايولوجي للمراة وانما يكمن السبب في الظروف الاجتماعيه التي تحياها المراة فكلما عانت المراة من الكبت انعكس هذا سلبا على قدرتها الفكرية وكلما انعزلت المراة داخل بيتها وانقطعت عن التفاعل مع بيئتها الاجتماعية ترك هذا اثره على قدرتها الفكرية. اما الرجل فان نصيبه اكبر في تطوير قدراته الفكرية وذلك لتمتعه بفرص اكثر من التعلم والعمل خارج البيت.

وكفل التشريع الاسلامي للمراة كما للرجل المساواة وحرية التصرف بالمال الخاص لكن هذا التشريع حمل الرجل المسؤولية الاقتصادية المباشرة وعليه فان توزيع الميراث على الرجال والنساء لم يكن وفق حصص متساوية اذ ينال الرجل ضعف ما تناله المراة التزاما بقوله تعالى: " للذكر مثل حظ الانثيين "[١٠] لانه المسؤول عن تلبية احتياجات اسرته من كافة الوجوه بما فيها الانفاق على المراة اذا كانت متزوجة: " الرجال قوامون على النساء "[١١] اما اذا كانت عزباء فان نفقتها على ابيها او ولي امرها. وفي وقتنا الحاضر فان المراة تشارك الرجل في تحمل متطلبات الاسرة بالرغم من اعفائها منها في السابق. وموقف المراة هذا انما يمثل تضحية منها غايتها مؤازرة الرجل في بناء الاسر توضمان مستقبلها. ان التشريع الاسلامي عندما اقر حقوق المراة يكون قد سبق التشريعات والقوانين الاخرى المعمول بها بين امم العالم آنذاك فللمراة الحق في امتلاك املاكا خاصة وهي حرة التصرف بها وبالاموال حتى بعد زواجها فلها ان تبيع وتشتري وتقوم بكافة المعاملات التي تؤكد حريتها التامة في اموالها وهنا يقول الله تعالى: " ولاتتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب

مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما " [١٢].

ومن مكارم الاسلام على المراة اعطائه اياها فرصة ثمينه وحرية واسعة في ان تقرر مسألة مهمة تتعلق بمستقبل حياتها ونعني بها حرية اختيارها في قبول او رفض من يطلب يدها دونما اكراه او ضغط من ولي امرها ولاي سبب كان كما يحصل عند الكثير من الاسر التي تحرص من وراء تزويج بناتها على كسب المال او الجاه وقد ورد في القرآن الكريم ما يحول دون هذا: " يايها الذين امنوا لايحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن "[١٣]. ومع ان نصوص القرآن واضحة في هذا الموضوع الا ان البعض من اولياء امور الفتيات عد مسألة الزواج وكأنها تجارة يبغي من ورائها الربح الوفير وقد تناسى هذا البعض ان الهدف الاكبر من الزواج في عقيدة الاسلام يتمثل في المحافظة على النوع الانساني من خلال علاقة حب ومودة بين الازواج قال تعالى : " ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمه ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون "[١٤]. ومن المهم القول بان الزواج ليس عقدا وقتيا بل هو عقد دائمي يربط الرجل بزوجته برباط مقدس كله حب ومودة وحنان والفة وليس من حق الرجل اللجوء الى الطلاق لاتفه الاسباب لان عقد الزواج ميثاق غليظ كما قال تعالى: " واخذن منكم ميثاقا غليظا "[١٥]. ولكي تبقى الحياة الاسرية مستقرة وسعيدة لاجل تربية الابناء تربية صالحة فقد حث الله الرجال على معاشرة النساء بالمعروف انسجاما مع قوله تعالى: " وعاشروهن بالمعروف "[١٦].غير ان بعض الرجال يسيء المعاملة ويلجأ الى الطلاق لابسط الامور وكأنه (اي الطلاق) وسيلة تسلية ولهو ومع ان الطلاق جائز لاسباب وحالات معروفة الا انه لايحبذ اللجوء اليه الا عند الضرورة القصوى فقد قال الرسول (ص): " أبغض الحلال الى الله الطلاق " [١٧].

**ثانيا: الدعوة الى تعليم المرأة :**

راينا في العرض الذي قدمناه كيف ان التشريع الاسلامي ضمن للمرأة كافة حقوقها باعتبارها انسانا كاملا وعرفنا ان الاسلام ساوى بينها وبين الرجل ومع هذا فان

المهتمين بامر العلم والتعليم من كبار العلماء المسلمين قد اختلفوا بشأن تعليم المرأة. فالبعض يرى ضرورة تعليمها امور الدين حصرا ولايرى اهمية لتعليمها الكتابة ، في حين يعتقد البعض الاخر انه من الاهمية بمكان تعليم المرأة وتبصيرها بأمور دينها ودنياها. وقد استند اصحاب الدعوة الى تعليم المرأة الى بعض الاحاديث النبوية مثل قوله (ص): " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " [١٨]. و " أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها واحسن تعليمها وادبها فاحسن تاديبها ثم اعتقها وزوجها فله أجران " [١٩]. ويذكر عن الرسول (ص) انه كان يحث على تعليم زوجاته الكتابه وغيرها من المعارف التي كان يراها(ص) ضرورية لهن، فقد طلب من احدى مثقفات قريش وهي الشفاء بنت عبد الله القريشية(ت٢٠٥هـ) تعليم حفصة رقية النملة بعد تعليمها الكتابة بقوله: " علمي حفصة رقية النملة كماعلمتيها الكتابة ". والى جانب حفصة كان عدد من النسوة يعرفن الكتابه امثال ام كلثوم بنت عقبه وعائشة بنت سعد (ت١١٧هـ) وكريمة بنت المقداد واخريات. [٢٠]

ان وجهة النظر الثانية التي تدعو الى تعليم المرأة قد حققت نجاحا كبيرا ونجاحها هذا انما تحقق بفضل حالة النهوض الشاملة التي احدثها العرب المسلمون حيث استطاعت المرأة ارتقاء درجات عالية في ميادين العلوم والثقافة وهذا النجاح يتسق تماما مع النشاط الفكري والعلمي الواسع التي امتدت مرحلته من ظهور الاسلام الى القرن الرابع الهجري بشكل خاص[٢١]. لكن حالة تعليم المرأة في الاندلس كانت قد امتدت الى القرن الخامس الهجري غير ان الخلافات السياسية بين العباسيين وخصومهم من جهة وانعدام الاستقرار السياسي والاجتماعي مع ما صاحبه من فساد آنذاك من جهة اخرى كل هذا ادى الى انحسار دورالمرأة في ميادين العلوم واصبحت تعاني من طوق الحصار الذي ضرب عليها وهكذا ابتعدت عن التعليم الا في القليل النادر[٢٢].

وهنا لابد من ملاحظة ان عدد النساء المتعلمات كان اقل بكثير من عدد المتعلمين من الرجال على الرغم من ان الاسلام لم يجعل الجنس عائقا امام تلقي العلوم وربما كان تاخر النساء المسلمات عن مجاراة الرجال في التعلم وقتذاك مبعثه المشاكل الكبيرة التي

كان طلاب العلم يواجهونها لاسيما في رحلاتهم العلمية وما يكتنفها من جوع وعطش ومخاطر كان المسلمون الذين يحبون المرأة ويقدرونها ويجعلون لها منزلة رفيعة لا يريدون لها تلك المعاناة والمشاق وصعوبة الحياة وهو ما عبر عنه الشاعر بقوله:

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول[٢٣]

ومع كل تلك الصعوبات والمشاق فان كثيرا من النسوة العربيات المسلمات قد تمكن من الوصول الى مستوى من التعلم والثقافة اكبر بكثير من ذلك المستوى الذي وصلته المرأة في امم قديمه كاليونانية والرومانية والهندية والفارسية وسواها من الامم التي سبقت الامة العربية الاسلامية او تلك التي عاصرتها.

**ثالثا: اماكن تعليم المرأة:**

لقد اشتهرت في ظل الاسلام اماكن تعليمية عديدة منها المساجد التي اهتمت بالتعليم الديني اول الامر ثم دخلتها الدراسات اللغوية والادبية والى جانب المساجد نشأت الكتاتيب لتهتم بتعليم الاطفال مبادىء القرآن وغيرها. كذلك اشتهرت الاسواق العامة بامر التعليم ومنذ الجاهلية مثل اسواق عكاظ ومجنة وذي المجاز والطائف وسواها. وهنالك مجالس الخلفاء والامراء في قصورهم ثم تطورت لتصبح مجالس عامة خارج القصور مثل مجلس المربد. ولابد ايضا من ذكر منازل العلم مثل منزل الرسول (ص) في مكه ودار الارقم بن ابي الارقم المخزومي وكذلك حوانيت الوراقين ودور العلم والحكمة وخزائن الكتب والربط والخوانق والبيمارستانات واخيرا المدارس باعتبارها حلقة متطورة في سلسلة المؤسسات التعليمية في دملة الاسلام.

وهنا يثار سؤال مهم وهو في أي من هذه الاماكن كان يتم تعليم المرأة ؟ وهل كانت المرأة تتعلم مع الرجل ام كان لها معلم خاص ؟. لقد اختلف الباحثون حول هذا الموضوع ففي كتابه " التربية في الاسلام " يرى الاهواني ان النساء كن يتعلمن في الكتاتيب لكنه يرجع عن هذا الرأي فيذكران العادة جرت على تعليم البنات داخل الدور[٢٤]. اما طوطح فيرى في كتابه " التربية والتعليم عند العرب " ان البنات كن يترددن الى

المكتب في القرن الثاني للهجرة وفي بعض الاحيان كن يتعلمن مع الفتيان [٢٥]. غير ان النصوص التي اعتمد عليها طوطح تنطبق فقط على الجواري اللواتي كان يسمح لهن الاختلاط بالذكور والغاية من تعليمهن ليست للثقافة وانما لرفع اثمانهن عن طريق تعليمهن القراءة والكتابة والغناء. وهنالك نصوص تشير الى ان البنت كانت تتعلم في المنزل على يد احد اقاربها او على يد مؤدب يدعا لتعليمها في المنزل فقد ذكر ان عيسى بن مسكين (ت٢٧٥هـ) كان يقوم بتعليم الطلبة الى وقت العصر وبعد هذا الوقت يدعو بناته وبنات اخيه وحفيداته لكي يعلمهن القرآن والعلم. وكذلك كان اسد بن الفرات (ت٢١٣هـ) يقوم بتعليم ابنته اسماء (ت٢٥٠هـ). ويفعل نفس الشيء الامام سحنون بن سعيد (ت٢٤٠هـ) مع ابنته خديجة (ت٢٧٠هـ). كما كانت الدعوة توجه لمؤدبين خاصين الى بيوت الامراء والاثرياء لتعليم بناتهم[٢٦].

**رابعا: مجالات تعليم المرأة:**

من المعلوم ان الاسلام قرر ان تكون البنت الغير راشدة تحت وصاية اوليائها لكي يقوموا بتربيتها وتعليمها بالشكل الذي يرضاه الله فقد قال الرسول (ص) : " من كانت له ثلاث بنات او ثلاث اخوات فعلمهن وادبهن واتقى الله فيهن فله الجنه البتة "[٢٧].

وعليه فان دراسة سير النساء المسلمات تلقي الضوء على اخلاقهن السامية بالاضافة لى ثقافتهن الاسلامية الراقية، والمصادر التاريخية والادبية حافلة بالشواهد عن هذا الجانب حتى وجدنا من بين النساء من تمتن بنوع من الثقافة لايقل في اهميته عن ثقافة الرجال وربما تفوق عليها في كثير من الاحوال. فثقافة المرأة كانت متنوعة وعميقة وذلك بسبب خوض المرأة في موضوعات ثقافية عديدة برزت في جميعها ونافست الرجال فدللت على مقدرة ممتازة وكفاءة عالية.

فلقد اهتمت النساء المسلمات بالعلوم الدينية اول الامر وذلك من اجل معرفة متطلبات التعاليم الدينية ورواية الاحاديث النبوية الشريفة. يذكر الاهواني نقلا عن القابسي ان تعليم الانثى القرآن والعلم شيء حسن ومن مصلحة الانثى لان هذا هو السبيل الى

معرفة الدين وتأدية الصلاة المفروضة على المؤمنات [٢٨]. وتقف السيدةخديجة بنت خويلد زوجة الرسول (ص) في مقدمة النساء اللواتي اعتنقن الاسلام وساندن النبي (ص) في جهاده ضد قوى الكفر والشرك. ومما يروى عن عائشة انها قالت: نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء ان يتفقهن في الدين[٢٩]. وكانت عائشة نفسها تؤدي دورا مهما في تعليم النسوة امور الدين حتى قال فيها الرسول (ص): " خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء " ومما يذكر عنها ان روت لوحدها عن الرسول (ص) الف حديث بشكل مباشر وروى عنها خلق كثير من الصحابة والتابعين وفضائلها ومناقبها مشهورة [٣٠]. فقد وصفت بكونها من ابرع النساء في القرآن والحديث والفقه والشعر واخبار العرب وايامهم وإنسابهم وفيها قال عطاء بن ابي رباح : كانت عائشة افقه الناس واعلم الناس واحسن الناس رأيا في العامة. وقال المقداد بن الاسود: ما كنت اعلم احدا من اصحاب رسول الله (ص) اعلم بشعر ولا فريضة من عائشة [٣١].

لقد اهتمت النسوة كثيرا برواية الاحاديث النبوية حتى ان ابن سعد كان قد خصص جزءا من كتابه " الطبقات " لرواية الاحاديث عن النساء ذكر فيه اكثر من سبعمائه امراة روين الحديث عن الرسول (ص) او عن اصحابه وعنهن روى العلماء والائمه المسلمين. كما ترجم ابن حجر حياة الف وخمسمائة وثلاث واربعون محدثة وقال بحقهن : انهن كن ثقات عالمات [٣٢]. كما خصص كل من النووي في كتابه " تهذيب الاسماء " والخطيب البغدادي في كتابه " تاريخ بغداد " والسخاوي في كتابه " الضوء اللامع " حيزا كبيرا للحديث عن النسوة المسلمات المثقفات لاسيما في العلوم الدينية التي بلغن فيها مبلغا عظيما دفعت الذهبي الى اتهام أربعة الاف رجل من المحدثين ولكنه قال عن المحدثات : وما علمت من النساء من أتهمت ولامن تركوها [٣٣].

وهنا لابد من التطرق الى ان عدد النساء اللاتي كان لهن حضور متميز في علوم الدين فقد كانت ام الدرداء هجيمة بنت حيي (ت٨١هـ) من مشاهير النساء في علوم الدين حتى وصفها النووي بقوله: اتفقوا على وصفها بالفقه والعقل والفهم والجلالة [٣٤]. وكانت نفسية بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي (ت٢٠٨هـ) من خيرة المحدثات في

زمانها وكان يحضر مجلسها أعلام العلماء وقيل ان الامام الشافعي اما دخل مصر حضر مجلسها وأخذ عنها الحديث. اما فخر النساء الشيخة شهدة بنت احمد (ت٥٧٤هـ) فقد خصصت لنفسها هي الاخرى مجلسا في مساجد بغداد يحضره باستمرار طلاب العلم ويتلقون عليها العلوم الدينية واللغوية [٣٥]. واشتهرت زينب بنت عبد الرحمن الشعري (ت٦١٥هـ) بعلومها الدينية وكانت قد سمعت الاحاديث من اسماعيل بن ابي القاسم بن ابي بكر النيابوري وابي المظفر عبد المنعم القشيري وسواهما كما أجاز لها ابو القاسم محمد بن عمر الزمخشري وآخرون. اما عنيدة وهي جدة ابو الخير التيقاني الاقطع فقد كانت هي الاخرى احدى العالمات الجليلات حيث كان يحضر دروسها خمسمائة تلميذ من كلا الجنسين. وقيل ان الخطيب البغدادي كان قد قرأ " صحيح " البخاري على كريمة بنت احمد المروزية (ت٤٦٣هـ)[٣٦]. وذكر العلامة علي بن الحسين بن عساكر صاحب كتاب " تاريخ دمشق " شيخوخة الذين قرأ عليهم فذكر منهم بضع وثمانين امرأة [٣٧].

وبرزت النساء في ميادين العلوم الطبية وشاركن الرجال في جهادهم للقضاء على مواطن الشرك اذ كن يقمن بتضميد الجرحى ورعايتهم وتزويد المقاتلين بالماء والزاد. فقد ذكر ان اميمة بنت قيس الغفارية جاءت الرسول (ص) مع عدد من النساء من بني قومها وطلبن منه الموافقه على خروجهن مع المجاهدين لمقاتلة يهود خيبر ومداواة الجرحى فوافق الرسول (ص) وتقول الربيع بنت معوذ الانصارية (ت٤٥هـ) : كنا نغزو مع رسول الله (ص) فنسقي القوم ونداوي الجرحى ونرد القتلى والجرحى الى المدينة [٣٨].بالاضافة الى هذا فان هنالك نسوة كثيرات برعن في الطب وتمتعن بشهرة عريضة بين الاطباء العرب وكتب التاريخ والطب حافلة باسماء وسير تلك النساء. يذكر ابن ابي اصيبعة زينب طبيبة بني اود اذ كانت عارفة بالاعمال الطبية خبيرة بالعلاج ومداواة امراض العيون والجراحات اضافة الى اشتهارها بالطب الداخلي [٣٩]. وكانت ام الحسن بنت القاضي ابي جعفر الطنجالي امرأة غزيرة الاطلاع كثيرة المعارف لها معرفة بعلوم متعددة منها علم الطب لكنها في الطب اميز واشهر [٤٠]. اما اخت الحفيد بن زهر وابنتها فقد كانتا عالمتين بالطب والمداواة خاصة مداواة النساء وبالذات نساء الخاصة من [٤١].

ومثلما كان للمرأة حضور واضح في العلوم الدينية والطبية كان لها نفس الحضور في مجال العلوم الادبية وكتب الادب حافلة بالحديث عن النساء الاديبات والشاعرات اللواتي لايقلن اهمية وبراعة عن الادباء والشعراء الرجال وربما تفوقن على البعض منهم. فمثلا كانت النوار بنت اعين زوجة الشاعر الفرزدق اديبة ناقدة عرف عنها قيامها بالتحكيم بين الشعراء والادباء وقد حكمها زوجها بينه وبين الشاعر جرير فقالت : انه قد غلبك في حلوه وشاركك في مره [٤٢]. اما رابعة العدوية (ت١٣٥هـ) المشهورة بالتصوف والعبادة والتقوى فقد كانت هي الاخرى شاعرة متميزة باسلوبها الرقيق العذب وخاصة حين تناجي ربها باعذب الالفاظ وأجزل العبارات [٤٣]. وكانت زبيدة (ت٢١٦هـ) زوجة الخليفة هارون الرشيد تنظم الشعر وتحاور الشعراء وسواهم في صنفوف الفكر والثقافة مع تميزها برقة وعذوبة شعرها لاسيما ابياتها التي كانت تدونها في رسائلها الى زوجها الرشيد [٤٤]. ويقول لسان الدين بن الخطيب واصفا حمدة بنت زياد المؤدب واختها زينب : شاعرتان أديبتان، من اهل الجمال والمال والمعارف والصون ، الان حب الادب كان يحملها على مخالطة اهله مع صيانة مشهورة ونزاهة موثوق بها [٤٥]. اما مريم بنت ابي يعقوب الانصاري فقد كانت هي الاخرى اديبة شاعرة سعت لتعليم النساء الادب [٤٦]. واخذت بدانية مولاة أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون عن مولاها العلوم اللغوية حتى تفوقت عليه وبرعت في العروض وكانت تحفظ كتب الادب وتشرحها [٤٧]. ووصف لسان الدين بن الخطيب حفصة بنت الحاج الركوني (ت٥٨٦هـ) بانها : كانت فريدة الزمان في الحسن والظرف والادب واللوذعية أديبة نبيلة سريعة البديهة جيدة الشعر [٤٨]. ويجدر هنا ذكر ولادة بنت المستكفي (ت٤٨٤هـ) الشاعرة التي وهبت نفسها لدراسة البلاغة والشعر

وكانت تساجل الادباء حسنة المحاضرة مشكورة المذاكرة مشهورة بالضيافة والعفاف وكان مجلسها منتدى للادباء والشعراء والكتاب. وكذلك الحال مع عائشة بنت احمد القرطبية التي عرف عنها تميزها بالذكاء النادر وعندما توفيت عام ٤٠٠هـ خلفت وراءها آثارا ادبية كبيرة ومكتبة غنية. اما لبانه وهي من اهالي قرطبة فلم تكن شاعرة فحسب وانما متحرة في الفلسفة ايضا [٤٩].

وللمرأة المسلمة حضور كبير في امور الحرب من خلال مشاركة الرجل فيها بقيامها بالتمريض ، لان عقيدة الاسلام زرعت الايمان في قلوب الناس واصبحت الشجاعة واحدة من ابرز سمات المجتمع الاسلامي . ففي عهد الرسول (ص) وعهد الخلفاء الراشدين (رض) كانت النساء كالرجال في الشجاعة والتضحية من اجل نصرة العقيدة وحماية مبادىء الدين. واسهمت المرأة في الجهاد بالمدينة وخارجها فشاركت الرجال واثارت حماسهم وضمدت جراحاتهم وقدمت لهم الزاد والماء وحملت السيف لتقاتل حد الاستشهاد. فقد قامت نسيبة بنت الحارث الانصارية بدور هام في معركة أحد من خلال حملها لسيفها وقتالها لجيش المشركين الذي هاجم جيش المسلمين بعد هزيمة الاخير في المعركة وتمكنت من جرح احد عشر مقاتلا مشركا. وعندما ترى الخطر يقترب من القائد محمد (ص) تتجه صوبه لتحميه من غدر الاعداء حتى قال فيها (ص) : " ماالتفت يمينا ولاشمالا الاوانا اراها تقاتل دوني " [٥٠]. وفي معركة اليرموك قاتلت النسوة وقد روى عن هند بنت عتبة قولها: عضدوا الرجال بسيوفكم [٥١]. وكانت جويرية بنت ابي سفيان مع زوجها في خدمة الحرب حتى انها اصيبت بعد قتال شديد وكذلك ام عطية التي قالت : غزوت مع رسول الله سبع غزوات، وكنت أخلفهم في رحالهم، واصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى واقوم على المرضى [٥٢]. وبعد وفاة الرسول (ص) استمرت المرأة تشارك أخيها وزوجها وابنها وسواهم في الجهاد في معارك تحرير العراق والشام.

والى جانب هذه العلوم فان المرأة العربية المسلمة اسهمت بسقط وافرفي الموسيقى والغناء لان العرب ومنذ القدم يحبون الغناء وتصحبهم الموسيقى في كل حين حيث عبروا عن مشاعرهم بالغناء والموسيقى في عملهم ولهوهم وفي سرورهم والامهم وفي حبهم وحروبهم وفي حزنهم وافراحهم حتى صارت الموسيقى جزءا من ثقافتهم، يقول المسعودي : " الغناء يرق الذهن ويلين العريكة ويبهج النفس ويسرها ويشجع القلب " [٥٣]. ويذكر افلاطون عن الموسيقى : " لاينبغي ان تمنع النفس من معاشقة بعضها بعضا الاترى ان اهل الصناعات كلها اذا خافوا الملالة والفتور على ابدانهم ترنموا بالالحان فاستراحت لها انفسهم..." [٥٤]. لقد برزت نسوة كثيرات في هذا المضمار عدا الجاريات

والمغنيات المحترفات نذكر منهن متيم الهشامية التي نشأت بالبصرة وتأدبت ومارست الغناء حتى برعت فيه وكذلك خديجة بنت الخليفة المأمون وعبيدة الطنبورية الفاتنة الجمال ذات الاخلاق العالية والذكاء الموفور وهي التي اخذت لقبها من عزفها على الة الطنبور وفيها قيل: انه لم يعرف في الدنيا امرأة أعظم منها في الطنبور اما صورتها ففي غاية العذوبة والرقة [٥٥]. اما حبابة فالى جانب جمالها فقد وصفت بغنائها الحسن وطيبة الصوت والضرب على العود [٥٦]. اما جميلة مولاة بني سليم فتعد اصلا من اصول الغناء أخذ عنها معبد وابن عائشة وحبابة وسلامة وخليدة وسواهم. وكان معبد يقول فيها:اصل الغناء جميلة وفروعها نحن ولولاها لم نكن مغنين. وكان يقصدها الناس ويجلسون للتعلم كما قصدها مشاهير المغنين ليحتكموا اليها وكان حكمها دائما موضع القبول والرضا وكانت تعتز بفنها كثيرا حتى انها آلت على نفسها الاتغني الافي منزلها فسعى اليها سادة الناس لينعموا بصوتها الساحر وغنائها الحنون [٥٧]. وكانت دنانير (ت ٢١٠هـ) من احسن النساء وجها واظرفهن وأكملهن وأحسنهن أدبا وأكثرهن رواية للغناء والشعر، وكان الرشيد شغوفا بها وبغنائها وقد وهب لها هبات سنية. ومما يدعو للاعجاب بها انه كان لها كتاب في الاغاني [٥٨]. وتميزت علية بنت المهدي اخت الرشيد بتفوقها على الجواري في الغناء والظرافة وقول الشعر الجيد وصياغة الالحان الحسنة [٥٩].

واسهمت المرأة في امور اخرى من الحياة الاسلامية بحكم ما تمتعت به من ثقافة، فعملت في السياسة والحكم وتولت بعض المناصب والاسهامات فممها هو معروف عن الخيزران (ت ١٧٣هـ) زوجة الخليفة العباسي المهدي انه كان لها شأن كبير في ادارة شؤون الدولة حيث تدخلت في السياسة وتمشية امور الدولة على عهد زوجها وعهد ولديها الرشيد والهادي الذي كان يطيعها وينفذ لها كل ما تسأله من حوائج الناس [٦٠]. وممن تدخلن في السياسة زبيدة زوجة الرشيد وقد وصفت بالفطنة والذكاء وقيل انه كان لها في السياسة رأي تسموا به الى التدخل في امور الدولة كأفطن ما يكون من الرجال [٦١]. ومن اعمالها الاجتماعية لخدمة الناس قيامها بحفر عين للماء في الحجاز تسمى (عين المشاش ) وذلك لايصال الماء الى الحجاج في مكة المكرمة اذ كان الحصول عليه قبل ذلك من

الامور الشاقه. وقد كلفت خازن اموالها عندما حجت عام ١٨٦هـ بدعوة المهندسين والعمال لانجاز هذا المشروع الذي يمتد لمسافة طويلة وقد تردد الخازن اول الامر لارتفاع تكاليف المشروع لكن زبيدة امرته بسرعة الانجاز حتى وان كلفها ضربة الفأس دينارا واحدا وتم انجاز العمل ولايزال حتى الان يحمل اسمها [٦٢]. وفي الاندلس يطالعنا اسم لبانة التي شغلت وظيفة قل ان شغلتها امرأة فقد كانت سكرتيرة خاصة للخليفة الحكم [٦٣].

لقد تبين اننا من خلال هذا العرض ان المرأة المسلمة كان لها دور في تحصيل العلوم على اختلاف اصنافها وذلك عن طريق التعليم في المنازل اذ لم يكن التعليم عاما لجميع النسوة بسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية وقتذاك وليس لاسباب تخص جوهر الدين الاسلامي فبالرغم من تأكيد الاسلام على دور المرأة في البيت وتربية الاطفال الا انه لم يمنعها من ان تعمل وتنتج وتتعلم ولو اراد لها هذا لما منحها حق التصرف باموالها وهذا الحق يتطلب منها العمل في مختلف الانشطة الاقتصادية بعد الاستزادة من العلوم والمعارف وبناء شخصيتها وفق ما تمليه عليها الشريعة الاسلامية وبذلك تشارك الرجل في جميع نواحي الحياة ولا تبقى نصفا معطلا كما يراد لها في بعض المجتمعات المتخلفة.

(١) سورة النساء: الاية ١
(٢) سورة الاسراء الاية ٣١
(٣) سورة النحل الاية ٥٨، ٥٩
(٤) سورة الانعام الاية ١٣٧
(٥) سورة لقمان الاية ١٤
(٦) الترمذي ، محمد بن عيسى (ت٢٩٧هـ) : سنن، تحقيق ابراهيم عطوة ـ ط١ ـ مطبعة البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٦٢، ٤/ ٣٠٩
(٧) البخاري ، محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ) : صحيح، دار الفكر ـ بيروت ١٩٨٦، ١/ ٦٤
(٨) سورة ال عمران : الاية ١٩٥
(٩) البخاري : صحيح ١/ ٦٤
(١٠) سورة النساء : الاية ١١
(١١) سورة النساء : الاية ٣٤
(١٢) سورة النساء : الاية ٣٢
(١٣) سورةالنساء : الاية ١٩
(١٤) سورة الروم : الاية ٢١
(١٥) سورة النساء : الاية ٢١
(١٦) سورة النساء : الاية ١٩
(١٧) ابن ماجه ، محمد بن يزيد (ت٢٧٥هـ) : سنن ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١/ ٦٥٠
(١٨) الصالح ، صبحي: النظم الاسلامية ، ط٤، دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٨ص ٤٤٥
(١٩) الصالح : النظم ص ٤٤٥
(٢٠) البلاذري ، احمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ) : فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ٢/ ٥٨٠
(٢١) عبد الدائم ، عبد الله : التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى اوائل القرن العشرين، دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٣ ص ٢٢٣
(٢٢) عبد الدائم : التربية ص ٢٢٤
(٢٣) شلبي ، احمد: تاريخ التربية الاسلامية ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ـ القاهرة ١٩٥٤ ص ٣٢١
(٢٤) الاهواني ، احمد فؤاد : التربية في الاسلام ، دار المعارف ـ مصر ١٩٦٧ ص ٨٧، ١٠٧
(٢٥) طوطح، خليل : التربية والتعليم عند العرب ، المطبعة التجارية ـ القدس ص ٦٩
(٢٦) الاصفهاني ، ابي الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ) : الاغاني، دار الكتب المصرية ـ بولاق ١٩٢٧ ،١٤/ ٤٨، ٢١/ ٤٨
(٢٧) الصالح: النظم ص٤٤٥
(٢٨) التربية ص ٦٧
(٢٩) البخاري: صحيح ١/ ٣٧
(٣٠) النووي ، محي الدين بن شرف (ت٦٧٦هـ) : تهذيب الاسماء واللغات، دار الكتب العلمية ـ بيروت ٢/ ٣٥١
(٣١) كحالة، عمر رضا: اعلام النساء، ط٣، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٧٧، ٣/ ١٠٥، ١٠٦
(٣٢) ابن حجر ، شهاب الدين احمد بن علي (ت٨٥٢هـ) : الاصابة في تمييز الصحابة، ط١، مطبعة السعادة ـ مصر ١٣٢٨هـ ، ٤/ ٢٢٤ وما بعدها
(٣٣) الذهبي، محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ) : ميزان الاعتدال، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط١، داراحياء الكتب العربية ـ القاهرة ١٩٦٢، ٣/ ٣٩٥

(٣٤) تهذيب ٢/ ٣٦٠
(٣٥) ابن خلكان ، احمد ابن محمد (ت٦٨١هـ) : وفيات الاعيان، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ـ بيروت ١٩٦٩ ، ٢/ ٤٧٧، ٤/ ٣٨٦، ٧/ ٨٦
(٣٦) ابن خلكان: وفيات ٢/ ٣٤٤، ٤/ ١٨
(٣٧) ياقوت، شهاب الدين الحموي (ت٦٢٦هـ) : معجم الادباء، دار احياء التراث العربي ـ بيروت ١٣/ ٧٦
(٣٨) ابن حجر : الاصابة ٤/ ٢٤٢، ٢٤٩
(٣٩) عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ط٢، دار الثقافة ـ بيروت ١/ ١٢٣
(٤٠) ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن عبد الله (ت٧٧٦هـ) : الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، دار المعارف ـ مصر ١/ ٤٣٨
(٤١) ابن ابي اصيبعة: عيون ٣/ ١١٣
(٤٢) ابن خلكان: وفيات ٦/ ٩٩
(٤٣) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) : البيان والتبيين ط٣، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مؤسسة الخانجي ـ القاهرة ١/ ٣٦٤، ٣/ ١٢٧، ١٧٠، ١٩٣
(٤٤) المسعودي ، علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الاندلس ـ بيروت ٢/ ٣١٥ ـ ٣١٦
(٤٥) الاحاطة ١/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨
(٤٦) المقري، أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ): نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، ط١، دار الفكر ـ بيروت ١٩٨٦، ٦/ ٧١
(٤٧) المقري: نفح ٦/ ٧٧
(٤٨) الاحاطة ١/ ٤٩٩
(٤٩) المقري: نفح ٥/ ٣٣٧، ٦/ ٧٠ ، خودانجش: الحضارة الاسلامية ، ترجمة علي حسني الخربوطلي ، دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ١٩٦٠ ص ١٨٤
(٥٠) ابن حجر ، احمد بن علي (ت٨٥٢هـ): تهذيب التهذيب ، دار صادر ـ بيروت ١٢/ ٤٥٥
(٥١) البلاذري : فتوح ١/ ١٦٠
(٥٢) الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ـ مصر ١٩٦٢، ٣/ ٤٠١
(٥٣) مروج ٤/ ١٣٤
(٥٤) ابن عبد ربه، احمد بن محمد (ت٣٢٧هـ): العقد الفريد، دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٤٩، ٦/ ٤
(٥٥) الاصفهاني ك الاغاني ٢٢/ ٢٠٥ وما بعدها، النويري، احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ): نهاية الارب في فنون الادب ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ٤/ ٦٥، ١١٤
(٥٦) الاصفهاني : الاغاني ١٥/ ١٢٢
(٥٧) الاصفهاني : الاغاني ١/ ٣٨، ٨/ ١٨٦ وما بعدها ، النويري : نهاية ٥/ ٤١
(٥٨) الاصفهاني : الاغاني ١٨/ ٦٥ وما بعدها، النويري : نهاية ٤/ ٩٣
(٥٩) الاصفهاني : الاغاني ١٠/ ١٦٢ وما بعدها ، النويري : نهاية ٤/ ٢٣١ـ ٢٣٧
(٦٠) المسعودي : مروج ٣/ ٣١٣
(٦١) المدور، جميل نخلة : حضارة الاسلام في دار السلام، المطبعة الاميرية ـ القاهرة ١٩٣٦ ص٩٧
(٦٢) المسعودي : مروج ٣/ ٣٣٦
(٦٣) خودانجش: الحضارة ص ١٨٤